المقياس :علم النفس النمو السنة الثانية جميع التخصصات الأستاذ / صولة طارق

محاضرة رقم 01 2021-2022

النظرة التاريخية الفلسفية لعلم النفس النمو في مختلف العصور

تمهيد /الحمد الله رب العالمين ، الذي علم الإنسان ما لم يعلم خلقه من نطفة ثم أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا عما حوله،ولكنه في الوقت نفسه، زوده بأدوات العلم الأساسية السمع والبصر والفؤاد، فما هي إلا سنوات ، بل حتى اشهر فإذا بهذا الجاهل يتعلم وينمو وتتحسن قدراته المختلفة فيصبح خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

إن الإنسان من المعجزات الكائنات الحية التي خلقها الله وأحسن في خلقها حيث قال تعالى في قوله الكريم في سورة التين " **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** " آية 4 وأول إنسان خلقه الله هو آدم خلقه من طين ثم خلق حواء من ضلع آدم ثم تبدأ نسل السلالة البشرية خلقها من ماء مهين بواسطة الاتصال الجنسي بفضل التزاوج – بقوله تعالى " ***الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين (7) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين " السجدة .***

إن خلق الإنسان من مراحل عديدة التي أشار إليها الله في عدة آيات يبدأ خلقه في الرحم ثم يتكون من عدة مراحل تكوينية تدخل في مرحلة تكوين الجنين في الرحم حيث أشار الله في قوله "***يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلقا*** " (نوح) وفي قوله تعالى " ***يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقنكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى "(الحج)*** . وعند خروج الجنين إلى العلم الخارجي تبدأ حياة جديدة أخرى ويبدأ الطفل في تطور النمو عبر المراحل المختلفة من العمر وكل مرحلة عمرية يحدث فيها تغيرات عديدة جسمية ونفسية اجتماعية بدورها تأثر على السلوك الفرد في مختلف هذه التغيرات النمو .وفي قوله تعالى " ***حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصله ثلثون شهرا*** (الأحقاف) وفي قوله تعالى " ***الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير "(الروم)*** ويقول تعالى في سورة غافر "***هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ، ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمىً ولعلكم تعقلون"*** آية**.67.** ومراحل أطوار الجسد البشري من الطفولة وحتى الممات وكذلك مراحل النمو النفسي لهذا الجسد البشري.

يقول تعالى " ***يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيء***" .. **5 الحج.**

وكل هذه الدلائل الربانية في معجزة خلقه صبحانه وتعالى يقف عندها العلماء في حيرة كبيرة راجين تفسير كل أطوار النمو والتغيرات سلوك هذا المخلوق التي تطرأ على متغيرات نموه من ولادته إلى الشيخوخة وتغيراتها الجسمية والنفسية والاجتماعية من أجل وصف وتفسير وتطوير هذا السلوك وضبطه في متطلبات الحيات و التربية والتعليم للفرد حتى يصبح بإمكانهم تنشئة جيل متحضر متطور يتماشى مع كل القيم الاجتماعية الأخلاقية والوطنية يبنى وطنه ويحافظ عليه ويدافع من أجله .

وبدأ هذا الاهتمام منذ أقدم العصور بملاحظة السلوك الإنساني ونموه وتطوره وحاولوا تفسيره و التنبؤ به وتمتد مفاهيم النمو الإنساني إلى التصور الديني و التأمل الفلسفي و الخبرة الشخصية للإنسان عبر العصور التاريخية .

مرحلة التفكير البدائي:

فقد اعتقد المصريون القدماء بوجود كائن صغير خفي يتحكم في سلوك العانسان و ويسيطر عليه . ثم أظهرت الحضارة المصرية القديمة برعاية واهتمامها بالطفل باعتباره كائنا عاجز وضعيفا وفي حاجة الى اشباع متطلباته الحياتية والاجتماعية و اللعب وأيضا لا تقل الحضارة البابلية والحضارة الهند و الصين من حيث تضمينها وضرورة المحافظة على تربية الطفل والاعتناء به حسب المؤرخون في التاريخ وتفسيرهم للكتابة الحجرية و النقوش التي تنقل مشاعرهم وأعمالهم والاعتناء بالطفل في تلك الحضارات القديمة .

مرحلة التفسير الفلسفي :

لقد عالج اليونانيون القدماء موضوع علم النفس ضمن تفكيرهم الفلسفي وانشغالاتهم الفلسفية حول النفس و الروح و الجسد والعقل .فقد اعتبر **ألكميون** (القرن السادس قبل الميلاد) أحد المهتمين بالفلسفة حول سلوك وأعمال البشر المختلفة المزاج وركز اهتمامه الى موضوع الإدراك ويقال أنه عمل في علم وتفسير التشريح .ودرس العين والعصب و المخ .وكان **أنكساجوراس** (495–428ق–م)يرى أن العالم مكون من أجسام ذرية صغيرة وأن الأشياء الطبيعية خليط من جميع الذرات . وأعتبر **أمبادوكليس (495–435ق–م)** وهو أول من تحدث على الإدراك الحسي وتأمل فيه

وقال بأن العناصر الأساسية التي يتكون منها الأشياء الموجودة في العالم أربعة هي التراب –والهواء – و الماء و النار وأعتقد أن الجسم كله يشترك في كل نشاط جسمي أو عقلي . وقال بأن الدم هو مركز الذكاء.

أ- **سقراط 399 – 470 ق– م** : أثيني – أساس تعاليمه النفسية قوله (اعرف نفسك)وهو يرى أن المعرفة الحقيقية موجودة داخل الشخص ، ولكن انصراف الناس للأعمال اليومية يحيط المعرفة بغشاوة ، فعلى من يريد ان يعرف الحقيقة أن يناقش نفسه وأن يواجهها ، وهو يرى أن الطبيعة الإنسانية تشتمل على قوتين هما العقل و الشهوة ، وهاتان القوتان رغما أنهما تعيشان معا إلا أن الصراع بينهما دائم لاختلاف طبيعة كل منهما.

ب–**أفلاطون 347–427** ق– م : هو الفيلسوف الأثيني الشهير وهو تلميذ سقراط ، سجل آراء في محاوراته الشهيرة وفي كتابة الجمهورية وقد قسم النفس إلى ثلاث أقسام

النفس العاقلة و النفس الغضبية و النفس الشهوانية وقد حدد مكانا لكل قسم النفس العاقلة مركزها الرأس لأن الرأس أعلى جزء في الجسم فهو أقرب إلى السماء كما أنها مستديرة و الدائرة أقرب الأشكال الرياضية إلى الكمال ، أما النفس الغضبية فموطنها القلب و النفس الشهوانية موطنها البطن .

و النفس بالنسبة للجسم مثل الربان بالنسبة للسفينة يقودها وسط العواصف حتى يصل بها إلى غايتها وهذه النفس الإنسانية أشبه بعربة يجرها جوادان جامحان هما النفس الغضبية و النفس الشهوانية ، أما القائد فهو النفس العاقلة التي عليها أن تسيطر على النفس الغضبية و الشهوانية وتخضعها لسيطرتها.

ج–**أرسطو 322–384 ق–م** :أثيني فيلسوف اليونان الأكبر وهو تلميذ أفلاطون وهو أكبر فيلسوف في تاريخ الفكر الإنساني كما أنه (الجد البعيد) لعلم النفس لأنه ألف أشهر الكتب القديمة هو كتاب النفس .

وآراء أرسطو في علم النفس تحتاج إلى كتاب خاص ولكن نوجز بعض أرائه في النقاط الآتية :

- ✓ يعرف النفس بأنها (كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة) ويقصد بالكمال أن النفس مكملة للإنسان و الجسم الطبيعي هو الجسم المتحرك ويقصد بجسم آلي أي أنه له آلات وأعضاء أما القوة فمعناها الإمكانية للوجود و الحياة و الاستمرار ويجد أرسطو ثلاثة أنواع من النفوس :

- **النفس النباتية:** وهي أساس الحياة و الغذاء و النمو وهي موجودة في النبات و الحيوان والإنسان
- **النفس الحيوانية** : ووظيفتها الحركة والإحساس عن طريق الحواس الخمس البصر، السمع ، الذوق ،اللمس و الشم وهي موجودة عند الإنسان و الحيوان
- **النفس العاقلة** : وظيفتها التفكير وهي موجودة عند الإنسان فقط

وأشتهر أرسطو كذلك بنظرية (الوسط) أو مطا تسمى أحيانا "الوسط السعيد " فالفضيلة عنده الإفراط والتفريط وكلاهما رذيلة فمثلا الشجاعة وسط بين الطرفين هما الجبن و التهور ن و الكرم فضيلة وهو وسط بين رذيلتي الشح من جهة والإسراف من جهة أخرى.

ا علم النفس النمو الإنساني في العصور الوسطى

- **عند الإسلاميين :**

تأثر العلماء المسلمون بفلسفة الإغريق إلى حد كبير أمثال أفلاطون وأرسطو وأضافوا الكثير من البناء المعرفي و الفلسفي على ما وجدوه من علم وفلسفة فكتب الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي توفى سنة 360)فيميزان العقل واللذة والأوهام و الحركات و كتب الكثير في النفس و في الطب أيضا الروحاني.

وكتب **مسكويه (أبو على أحمد بن محمد مسكويه 325-421)** أبحاثا في علم النفس مثل الفوز الأكبر و الفوز الأصغر وتهذيب الأخلاق وتجارب الأمم . وفي الأخلاق و التربية وأهتم بتربية الأطفال وتعليمهم وتحليلهم بالفضائل الخلاقية و الكمال النفسي وكما دعا إلى التحلي طالب العلم بالتحلي من الحكمة –و العفة – و الشجاعة –و العدالة .

أ- **الفارابي** توفى-**399** : يسمى في تاريخ الفلسفة المعلم الثاني وهو لقبه الفخري وهو من الفلاسفة وعلماء النفس الكبار ، ألف الكبير من الكتب أهمها "المدينة الفاضلة" ونظريته في النفس تقوم على أن النفس لها أربع قوى هما :

- ✓ **القوة الغاذية** : وهي القوة التي يتغذى بها الإنسان و القوة الرئيسية محلها القلب ثم تتفرع قوى ثانوية في الجسم هما المعدة الكبد و الطحال
- ✓ **القوة الحاسة:** وبها يتم إدراك الحواس الخمس بحيث كل حاسة تختص بجانب معين من الإحساس
- ✓ **القوة المتخيلة:** و هي ترسم في النفس من الحواس بعد غيابها عن الحس وتركيب صور الحواس كما تتخيل الشيء الذي مضى و الذي سيحدث .

- ✓ **القوة الناطقة :** وهي التي يعقل بها الإنسان ويميز بها بين الأشياء بين الجميل و القبيح وبين الغث و الثمين وتنقسم القوة الناطقة إلى ثلاث
  - **النظرية /** وهي التي يحوز بها الإنسان المعارف و العلوم النظرية و
  - **العملية/** وهي التي يحوز بها أيضا الصناعات و الحرف
  - **النزوعية /** وهي التي يكون بها نزوع الإنسان أن يطلب الشيء أو يهرب منه و محل القوى النفسية

ب–ابن سينا 980– 1036: هو أكبر فيلسوف وعالم نفس في العصور الوسطى ، ألف الكثير من الكتب وكانت عنايته بعلم النفس فائقة وله كتاب شهير " النفس " واشتهر بلقب فخري وهو "الشيخ الرئيس" فيرى بأن النفس جوهر روحاني قائم بذاته وهو أصل القيمة المدركة و المحركة لأجزاء البدن وفي نظرياته أنه يقسم القوى النفس إلى ثلاث أقسام :

- ✓ **قوى يشترك فيها الإنسان و الحيوان و النبات** :وهي النفس النباتية ولها ثلاث وظائف التغذي والنمو و التوليد .
- ✓ **قوى يشترك فيها الإنسان و الحيوان ولا توجد للنبات** :و هي النفس الحيوانية ولها قوى كثيرة مثل القوى الإدراكية و بالحواس الخمس و القوى النزوعية إلى الشهوة و الغضب
- ✓ **قوى تخص الإنسان فقط** :ولا توجد عند الحيوان أو النبات وهي النفس الناطقة أو الإنسانية وتحتوي على قوى عديدة أهمها العقل العملي من التعامل مع شئون الحياة اليومية ، و العقل النظري وهو قوة عالمة يدرك الإنسان المعارف النظرية و المكتسبات .

ج –**الغزالي 1058–1111:** وهو من أبرز العلماء الدين و الفلسفة أشتهر بلقب فخري وهو " حجة الإسلام "، ألف العديد من الكتب في علوم الدين و الفلسفة وعلم النفس وله العديد من الكتب النفسية و التربوية أشهرها " معارج القدس " ونظرياته في علم النفس واسعة وخاصة في علم النفس الاجتماعي و الأخلاقي ونورد منها في النقاط الآتية :

- يقسم قوى النفس بنفس أسلوب الذي أتبعه ابن سينا
- نظرية في الانفعالات النفسية نظرية مبتكرة ترى أن الغضب قوى محلها القلب و الغضب هو غليان الدم القلب بطلب الانتقام وأسبابه الزهو والعجب – وهذا الغضب إذ تم كظمه رجع إلى باطن الإنسان واختفى وسار فيه حقدا ، و الحقد يثمر الحسد وهو تمني زوال النعمة من الغير ، و الغضب و الشهوة هي من الأبواب التي تدخل الشياطين إلى قلب الإنسان.

علم النفس النمو الإنساني في أوربا

تعتبر فترة العصور الوسطى في أوروبا فترة تجاهل فيها النمو الإنساني بالنضر إلى طبيعة النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي ساد في تلك الزمن وهو النظام الإقطاعي.وكان الاهتمام بالطفل والمراهقة اهتمام ضئيل جدا بفضل العقل على النحو الذي كان موجود في الفلسفة اليونانية إلا أن بعض الفلاسفة المسيحيين مثل توماس الأكويني وأغسطس أظهرا اهتماما غير مباشر بالنمو الإنساني وأشارا إلى أن النمو يسير في طريق محدد في التربية الدينية على أساس

اعتقادهم الخاطئ الديني مثل خطيئة آدم عليه السلام وظل هذا الأمر حتى تغيرت الاتجاهات تماما في أوروبا مع بداية عصر النهضة .

النمو الإنساني في العصر الحديث:

تطور علم النفس النمو تطورا كبيرا في العصر الحديث اتجاهات عديدة أفرزت علم النفس النمو كعلم قائم بذاته وقد خضع علم النفس في بدايات تكوين الجنيني لمؤثرات فلسفية وأفرى فسيولوجية وهي الخطوة الأولية التي التمسها العلماء في المعرفة العلمية الإنسانية آنذاك .وشهدت أوروبا إحياء للنزعة الإنسانية ما بين العصور الوسطى في القرن الخامس العشر و الثامن العشر و التي سميا بعد ذلك بعصر النهضة ازدهرت على أثرها الثقافة والأدب وظهر اهتمام وضح في الفروق الفردية و النمو الإنساني تحدث عنه **أموس كومينوس** في أواخر القرن السادس عشر ولخصه في أربعة مراحل نمائية مع متطلبات التربية لكل مرحلة

-مرحلة الأراك تممتد من الولادة -6سنوات – مرحلة الحيل وتمتد من 6-12سنة – مرحلة التعقل والاستدلال وتمتد من 12-18سنة -ومرحلة الطموح الأخيرة وتمتد من 18-24 سنة.

وفي عام 1657 نشر **كومينيوس** كتابه العالم في صورة جمع فيها صورا وأشكالا لدراسة الطفل في ذاته كطفل وأكد للطفل شخصية نفسية المتميزة وليس رجلا صغيرا .

وقد اهتم كثيرون في القرن السابع عشر مثل **(جون لوك)** الذي ذكر الكثير من عادات الطفل وكيفية تكوينها ودوافعه وأنواعها واتفاقها مع معايير الجماعة وقال أن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء.

وفي القرن الثامن عشر كتب(**جان جاك رسو**)كتابه(**أيمل)** ونادى بإعطاء الطفل حريته المطلقة للتعبير عن نزعاته الطبيعية وتنمية مواهبه وقدراته التي حبته بها الطبيعة . ويرى رسو أن الطفل مخلوق بدائي نبيل وأنه خير بطبيعته ولايفسد أحواله سوى تدخل الكبار ومن ثم يجب ألا يقحم الكبار أرائهم وألا يفرضوا سلوكهم على الطفل وقال إن الطبيعة مصلح الفرد والمجتمع,

ومع نهاية القرن الثامن عشر برز العديد من الفلاسفة و العلماء في أوروبا وانتباههم نحوى النمو الإنساني.فقدم **نيكولاس تيتنس1736-1807**- نظرية مبدئية في النمو الإنساني تهتم بالفروق الفردية الأفراد في النواحي الجسمية و النفسية .

وفي القرن التاسع عشر تأثر(**بستالوزي)** بآراء **روسو** وأثرت نظرياته في التربية فهو يرى أن الإنسان خيِر ويسعى دائماً إلى تحقيق الخير وإذا كان شريراً فإن ذلك يكون بسبب غلق طريق الخير في وجهه وأكد **بستالوزي** حول تربية الأطفال معطيا أهمية للحدس الحسي وأكد على مبدأين في التربية أنها تتماشى مع طبيعة الطفل وحاجاته وخصائص نموه وأن التربية ركيزة أساسية في إصلاح المجتمع .وسجل **فرودريك أوجست كاروس1770-1808**-بعض انطباعاته حول مراحل النمو مدى الحياة واهتم بالفروق الفردية بشكل خاص بين الجنسين وخلاف الثقافات حول نمو الإنسان. وقدمت **ماريا مانتسوري** عددا من الافتراضات النظرية لنموذجها الخاص في التربية الطفل كالآتي :

- الضغط و الشدة يعيقان التعلم التلقائي
- الألعاب دور تهذيبي في استثارة انتباه الطفل
- إعطاء الطفل الحرية تساعده على التفكير حسب ميوله وقدراته

- تربة الطفل تربية استقلالية تساعد الطفل في تطوير الشخصية والاعتماد على النفس
- تربية الحواس تطور نمو التربية العملية عند الطفل
- التعليم الفردي هو التعليم الذي يحقق ذاتية الطفل ويساعده على نموه المعرفي .

. جاء(**فروبل**)وأسس نظام مدرسة الحضانة وانتشرت آراؤه عن استمرار النمو .وأسهم(**دارون**) مطور نظرية التطور) مباشرة في علم النمو حيث نشر في سنة 1877 م تحليلا لتاريخ حياة طفله الأول الذي ولد سنة 1839.

ويعد عالم الفلك و الرياضيات **أودولف كيتيليه 1796–1874**– أول من أحيا دراسة النمو على أسس علمية وأجرى بحوث حول دراسة النمو الإنساني من الطفولة إلى الشيخوخة ودرس عدة أبحاث حول الانتحار والجريمة والجناح و المرضى العقلية والابتكار وتناول بحوث حول طبيعة الاختلافات الجنسية والثقافات و البيئة الجغرافية –

وأصدر **شارلز داروين** 1809–1882 كتابه الشهير " أصل الأنواع " عام 1859 وضح فيه نظريته الشهيرة في التطور و التي أثرت في الفكر الغربي الحديث مبرزا فيها أن الإنسان جزء من الطبيعة الحيوانية وصورة الحياة تبدأ من أحادية الخلية ونشر في عام 1877 عدة مقالات حول النمو المبكر لطفله الرضيع وأهمية النمو الفردي و التطور الإنساني في النمو .ونشر **مندل** أبحاثا في قوانين الوراثة مما فتح أفاق جديدة في البحوث في دراسة التكوين النفسي عند الإنسان ونشر . **برير** كتابه 1882– " عقل الطفل" شرح فيه الفعال المنعكسة للطفولة عند الميلاد وتفاعلاها في مراحل نموه .وكذا توسعت البحاث و الدراسات حول دراسة سيكولوجية النمو الإنساني و التطورات و المتغيرات السلوكية التي تطرأ على النمو.(**ستنالي هول)** الذي لمع إسمه كرائد من رواد علم نفس النمو في أمريكا وأسهم في ارساء دعائم طرق البحث في هذا العلم وأمدنا بالكثير من المعلومات عن الأطفال والمراهقين . وكان هو نفسه أستاذاً لكثير من علماء النفس الذين اهتموا بالطفولة والمراهقة فيما بعد . وكذلك فإن **(ألفيرد بينيه)** إهتم بالنمو العقلى للأطفال ووضع أول مقياس كامل للذكاء سنة 1905م , ترجم وقنن في معظم بلاد العالم ومن بينها مصر وفي فيينا أنشأ

(كارل بوهلر) وزوجته **شارلوت بوهلر** في العشرينات مركزاً للبحث في سيكلوجية الطفولة.

وفي أوائل القرن العشرين حظا هذا العلم بخطوات كبيرة وجبارة في النمو المعرفي والفكر في نظريات النمو وخاصة بعد إنشاء ويلهم فونت أول مخبر في علم النفس الذي يدرس الحواس والإدراك والتأثيرات الوجدانية و العمليات النفسجسمية التي لها علاقة بالحواس . وتوالت الدراسات والبحوث الجديدة في علم نفس النمو وزادت في الوقت الحاضر بدرجة كبيرة حتى لنجد الكثير من المجالات العلمية قد انفردت بنشر هذه البحوث وتحوى هذه المجلات العلمية الآلاف من البحوث في علم نفس النمو ولقد تزايد الاهتمام في مصر في السنوات الأخيرة بالدراسات الخاصة بعلم نفس النمو ويجد الباحث دراسات في النمو تغطي مراحله ومظاهره المختلفة.وهكذا نرى أن علم نفس النمو ما زال ينمو .

المراجع

- قرآن الكريم
- د– حسين عبد العزيز: **المدخل الى علم النفس** . دار الفكر العربي – القاهرة – 1995.
- ليونيل روشان – تعريب د– جورجيت الحداد: " **التفتح النفسي– الحركي** " .عويدات للنشر و الطباعة .بيروت لبنان. ط1–2001.
- د– سامي محمد ملحم :**علم النفس النمو – دورة الحاة الانسان** " . دار الفكر .الردن .عمان ط1–2004.
- د– محمد حسن علاوي : **سيكولوجية النمو للمربيالرياضي** . مركز الكتاب للنشر القاهرة – ط1– 1998.
- د–محمد عودة الريماوي : **علم النفس النمو** . دار المسيرة للنشر الأردن – عمان – ط1– 2008.
- **http://www.kids-psychology.com/before-school/**